* المحـــاضرة العاشرة: تقنيات كتابة النّقد السينمائي

تمهيد:

يجمع جلّ النقاد والمشتغلين بالسينما قديما وحديثا على القول جملة وتفصيلا بفكرة مفادها أنّ ظهور النقد السينمائي كان ملازما لنشأة السينما بحد ذاتها ، بحيث كان عرض أول فيلم سينمائي العام 1895 بمقهى باريس حدثا بارزا ومهما للغاية بالنسبة لجمهور المشاهدين آنذاك والصحافيين ورجال الإعلام خاصة ، إذ استقبلت الصحافة الفرنسية السينما استقبالا عظيما يليق بعظمة الصورة العجيبة المبهرة حينذاك، والموغلة في الخيال البشري بكل تصوراتها وأشكالها .

لاشك في أنّ ظهور النّقد السينمائي كان مواكبا لظهور السينما مباشرة ، وهذا بإجماع الكثير من المؤرخين السينمائيين والنقاد والباحثين ، إذ استقبلت الصحافة العالمية آنذاك، السينما استقبالا عظيما يليق بعظمة الصورة العجيبة المبهرة ،حينذاك، والموغلة في الخيال البشري بكل تصوراتها وأشكالها وتمظهراتها ، بحيث خلق أوّل عرض لفيلم سينمائي بباريس العام 1895 بمقهى باريس ، دهشة وأهمية بالغة التأثير لدى الإعلاميين خاصة وجمهور المتلقين عامة.

فكثرت بذلك ، التعليقات والمناقشات في الصحف والمجلات والنوادي الثقافية وحتى في الشوارع لعظمة الحدث ، بالمدح تارة والقدح تارة أخرى وتخصيص زوايا وصفحات بأكملها للكتابة عن السينما ، إلاّ أنّ هذه الكتابات افتقرت في مجملها للجانب الجمالي الفني واقتصرت على الجوانب الشكلية التي من شأنها تثمين المجهود الفردي للمخرجين دون العمل الفني (الفيلم) وبذلك لم ترقى لمفهوم النقد السينمائي ، إلاّ أنّها كانت النواة الأولى له.

" قبل بضع سنوات تحدث الكاتب الفرنسي كريستيان ميتز عن تجربته في حقل السينما، حيث راح يصف تحديا ما انفك يواجه دارسي الأفلام حتى اليوم فقال : جميعنا يفهم الأفلام السينمائية ولكن كيف يتبين لنا شرحها ؟"1

والجدير بالذكر أنّ السينما أضحت اليوم جزءا هاما في حياتنا لا يمكن الاستغناء عنه ، فيها ما نحب وما نكره ، ولعل بعضها أضحى جزءا من تاريخ حياتنا لا يمكن نسيانه وبعضها شكّل ذاكرة لأمم وشعوب كمولد أمة والمدرعة بوتمكين وذهب مع الريح ومعركة الجزائر والأرض وغيرها من الأفلام التي كتبت أسماؤها بأحرف من ذهب في سجل الخالدين في مجال السينما خاصة والفن على العموم .

" ومن هنا فإنّ كتابة النقد السينمائي تسمح لنا بالاستمتاع بالأفلام، بسبل لم يكن بمقدورنا التعرف عليها من قبل، وإذا كانت المشاهدة سبيلا للمتعة، فإنّ الكتابة النقدية سبيل آخر أكثر إثارة " 2 ومنه يستنتج أنّ العملية النقدية معقدة، تحتاج إلى أطر وقواعد لتطبيقها في الواقع النقدي، بمعنى أنّ النقد ينبني على أسس ومناهج بموجبها يعمل الناقد على تحليل الفيلم وتفكيكه وقراءته وفك رموزه، لكي يتسنى للقارئ فهم محتوى الفيلم ومضمونه.

وبذلك تتعدد أسباب الكتابة النقدية من ذاتية شخصية متعلقة بالمتعة والإثارة والإعجاب مبنية على

---

(1) ـ تيموثي كوريجان : كتابة النقد السينمائي ، ترجمة : جمال عبد الناصر ، مراجعة : هشام النحاس ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . جمهورية مصر العربية ، ط1 ، 2003، ص : 17.

(2) – المرجع نفسه : ص 18 .

المشاهدة السطحية للفيلم إلى موضوعية لها علاقة مباشرة بالتفكير والتحليل والقراءة العميقة والغوص في خبايا الفيلم وهذا ما يعرف بالنقد عموما.

في الفيلم السينمائي توجد عدة جوانب مهمة يجب الاهتمام بها ، على غرار اللّغة أو الحوار الدائر بين الممثلين ، الصورة ، الموسيقى والأدب ، بما أنّه مأخوذ عن عمل روائي معين ، إضافة إلى العوامل الفنية وكذا التقنية التي يقوم بها المخرجون مثل الخدع السينمائية ، طريقة التصوير وغيرها ، لكن أرى بأنّ لمسة النقاد يجب أن تكون مميزة حتى تمس مختلف الجوانب ، كما أنّها تكمن في تحليل خارجي وداخلي لمحتوى وشكل الفيلم ، أي بمعنى آخر هناك نوعين من القراءة التحليلية للفيلم السينمائي سواء كان روائيا طويلا ، قصيرا أو حتى وثائقيا . " 1

" في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي، كانت الحركة النقدية السينمائية ... صارمة إلى حد القسوة في تقييم الأفلام... كانت هذه الحركة ذات رؤية واضحة وتوجه محدد بفعل تأثرها بالنظريات السينمائية الجديدة – آنذاك – وتفاعلها النظري مع التيارات والحركات السينمائية العالمية. النقد كان يسعى إلى إظهار مدى تخلّف وسطحية المعالجات والأشكال التي كانت تقدمها الرموز التقليدية. وإذا كان – هذا النقد – يلجأ أحيانا إلى النبرة الحادة، الساخرة، التهكمية، فلأن الرصانة لم تكن ممكنة أو مجدية أمام سيل جارف من الأعمال السطحية والمبتذلة. " 2

---

(1). حوار م ع مدير مهرجان فاس للفيلم الوثائقي ،أحمد بوغابة حاوره حسان مرابط، لجريدة الفجر.
http ://www.al-fadjr.com/ar/index.php ?news=236743 ?

(2). أمين صالح : الكتابة بالضوء في السينما ، نادي المنطقة الشرقية الأدبي ،مسابقة أفلام السعودية ، الدورة الأولى ،المملكة العربية السعودية ، 2008 ، ص : 75، 76.

إنّ المتغيرات نسبية في مجال النقد ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تربية ذوق المشاهد مسبقا قبل عملية المشاهدة والحكم على الفيلم بالجيد والرديء ، ولكن على العكس من ذلك ، فإنّ جودة الأفلام وحدها كفيلة بتبيان ذلك ، ومن هنا نستخلص أنّ العملية النقدية معقدة في ذاتها وتحتاج إلى مزيد من الشرح والتعليل.